دور شاروكين.. العاصمة الثالثة للآشوريين

أ. فؤاد يوسف قزانجي

بعد استقرار الاوضاع للملك سرجون الثاني "٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م." في بلاد بين النهرين "بابل وآشور" تقرر بناء عاصمة جديدة للدولة الاشورية غير مدينة اشور ومدينة كلخو "نمرود" فاختار عاصمة ثالثة لسببين باعتبارها مركزا ستراتيجيا فهي قريبة من سفوح جبال طوروس حيث تقع وراءها ارارتو وهي القوة الوحيدة التي كانت تهدد الاشوريين. والسبب الاخر تخلصا من امتيازات اهل كلخو اذ كان سكان العاصمة بما فيها من معابد واداريين للدولة يحصلون على اعفاءات من الضرائب والتجنيد ويكافؤون بالاراضي والمنح الاخرى.

وتبعد دور شاروكين "خورصباد" "٢٠كم" عن نينوى و"٥٠كم" عن كلخو، انشاها سرجون في مدة سبعة اعوام تمتد من عام ٧١٢ حتى عام ٧٠٥ ق.م. تقريبا. وقد اهتم سرجون بتجميل المدينة وسماها دور شاروكين اي حصن او مدينة سرجون. ونصب في مداخلها تماثيل الثيران المجنحة التي ترمز الى الخصب والقوة والجبروت التي لا تزال بعضها تحتفظ بجدتها وروعتها الفنية الرفيعة حتى اليوم. كما تم نحت تمثال للبطل كلكامش الذي يمثل البطولة في بلاد الرافدين. كما زين قصره الضخم بالنقوش والواح الرخام والنصب التي ترمز الى الطقوس الدينية. لكن هذا الملك العظيم لم يسعفه الحظ للاستمتاع بمباهج وروعة عاصمته الجديدة. فبعد اقل من سنة من انتقاله اليها، توجه في حملة لاطفاء فتنة اثيرت في الشمال وتوفي خلال تلك الحملة وذلك في عام "٧٠٥ ق.م.".

بنيت مدينة دور شاروكين على مرتفع من الارض يبلغ علوه بين ٣٠ – ٤٠ قدما. وقد شيد القصر على شكل حصن ضخم بناه من اللبن والجص، وغشيت جميع جوانبه بقطع من الصخر محكمة التثبيت وكانت القاعدة على شكل حرف تي "T" ولا شك ان القصر الواسع على الرغم من اتساع عرض جدرانه بهي المنظر مهيبا في بواباته الثلاث التي كانت تحميها الثيران المجنحة. وكانت هذه التماثيل الضخمة مزخرفة بقطع من الطابوق المزجج وهي طريقة استخدمت لاول مرة وسنرى فيما بعد تستعمل في القصور الاشورية وفي شارع الموكب الجليل في بابل كما استفاد منها نبوخذ نصر عند بناء بوابة عشتار الرائعة الموجود حيز كبير منها في مدخل متحف برلين ونسخة من البوابة اعيد بناؤها في موقعها الاصلي.

اما جدران القصر فكانت مزينة بحجر الالباستر المنحوت، وبناؤها يشبه عمارة الحصن الاشوري. وقد فضل سرجون ترك مدينة كلخو التي تم فيها نجاح مؤامرته في اغتصاب العرش من سلفه الملك شلمانصر الثاني وقد قام سرجون عند بناء مدينته بان فرض على جميع المدن والاقوام التي كانت تحت نفوذ الاشوريين في شمال وغرب سوريا وفينيقية ان تجلب له الاحجار والاخشاب التي لا تتوفر في العراق وكذلك عدد من العمال الماهرين عوضا عن الجزية المفروضة عليهم كي يبنى المدينة بما يليق بآلهته وعظمته وحجم نفوذه. ويذكر ان القصر الذي شيده وسط الحصن او المدينة قد احترق في هجوم الاعداء بعد ذلك، فلم يبق من المنحوتات الداخلية الكثير لسقوط جدران القصر عليها وتحطمها. اما المنحوتات التي كانت خارج جدران القصر فقد نقلت معظمها الى متحف اللوفر، ويشاهد على تلك الجدران التي اعيد بناؤها في الوقت الحاضر مجموعة من تلك المنحوتات وهي مشوهة او قد ضاع بعض اجزائها. وكان ولع الاشوريين باستخدام الحديد وخاصة في الاسلحة والضربات وغيرها كبيرا، ويبدو لاهميته انه كان يحفظ في احد غرف القصر الخلفية، اذ عثرت احدى بعثات التنقيب على مائة طن من الاسلحة واكوام من الحديد. تبلغ مساحة القصر قرابة العشرة هكتارات. وهو اكبر قصر عرفناه في بلاد الرافدين، اذ يحتوي على مائتي غرفة، وثلاثين باحة مع شقق خاصة لعلها لسكن الخدم.

كما تم بناء زقورة ضخمة ذات سبعة طبقات ملونة باصباغ مختلفة. وهناك ستة معابد في المدينة ايضا. وكانت احدى باحات القصر مزينة برسوم على الطابوق "الآجر" المطلي بالاصباغ، وعلى بابها الرئيسي شجرتا نخيل وارفتان مصنوعتان من الخشب الملبس بالبرونز المذهب، بينما نصبت على الابواب الاخرى ثمانية تماثيل للآلهة التي تعبد في دولة آشور. وتبلغ مساحة المدينة زهاء ثلاثمائة هكتار وهي اكبر مدينة آشورية. وقد احاط بها سور عال يحتوي على سبعة ابواب. تعرف اليوم اطلال مدينة دور شاروكين باسم خورسباد او بالاحرى "خسردآباد" اي مدينة خسرو على الرغم من ان المدينة لا صلة لها بالفرس الا بخرابها على ايديهم في الارجح. تبعد عن مدينة الموصل حوالي "١٨كم".

اهم المصادر

ساكز، هاري. قوة اشور، ترجمة عامر سليمان. بغداد: المجمع العلمي، ١٩٩٩ "ص ١٤٢ – ١٤٣".

خواطر تاريخية

عدنان الحسني

"مصطلحات"

دراسة تحليلية ج٢

اتماماً لما ذكرناه سابقاً حول التحليل والموضوعية في المصطلح الثقافي العام والنقدي الخاص، تجدر الاشارة الى ان كلا النوعين لا ينفكان ان يكونا ملائمين لكل الظروف المحيطة مؤثرة عليهما ومتأثرة بهما الا ان المدلول بهما هو ذلك السرد السببي الذي ادى الى حفاظهما على اصالة المصطلح والاسلوب الذي لابد من ان يتبع فيهما هو الاسلوب المقارن.. وقليل من المهتمين قد يقعون في اخطاء اذ اعتبروا ان المصطلح ثقافي بالنظرة الشمولية

وليس هناك من تخصص لدى هذا المصطلح او ذاك وان كانت النظرة العامة في هذا التصور نظرة صائبة الا انها عندما تأخذ طابع التحليل لا يمكن ان يكون النتاج الحاصل بنفس المعنى فكثير من هذه المصطلحات تبوب على اساس الخير والدخول فيه ويكون التنافر بين الواجب والخير عند ذلك يقع التناقض بين الطرفين مما يؤدي الى حصول تناقض اكبر واوسع واشمل مما يؤثر سلبا على المنتج الثقافي بأعتباره اختزالا للوقائع ومغايرا للحقائق، اما اذا كان الخير هو الحاضنة الصحيحة لكل التحليلات المنطقية الناتجة عن المقارنات السليمة للوقائع والحقائق يكون المنتج الثقافي منتجا ذا ابعاد ودلالات متناسبة، وهذا ما يطلق عليه الاقناع

وللاسف نرى ان كثيراً من المعنين بالثقافة لا يهمهم السرد بشيئيته قدر ما يهمهم السرد بشكله، ولو اننا اخذنا بعض النصوص الادبية لقرون مضت نرى في بعضها خلوا في التحليل الواقعي لسرد تلك الاحداث وهذا متأت من عدم تحقيق التناغم بين الخير وسرد المصطلح بأسبابه ونتائجه حتما، الا ان نصوصا اخرى كانت متناسقة بكل اشكالها وإشيائها رغم انها كانت في نفس الفترة الا انها اختلفت في حيزها، وقد ينطبق هذا على نوعية او تصنيف المصطلحات بحيث انه يكون –اين المصطلح– تارة ذا طابع عام وبنفس الوقت ذا طابع خاص ذاتي، فهناك مصطلح نقدي لايمت بصلة الى المصطلح السردي، والعكس صحيح، وبالرجوع الى المصطلح فانه رغم اقدمية وجوده الى ان نشأته كانت على اساس الحاجة لفهم السرد النقدي للمصطلح فلا يخفى ان اساس المصطلحات كمفهوم عند الاغريق وبعد مخاضات عسيرة وسجالات تاريخية اضطرد المصطلح الثقافي في العام بنوعيه العام والخاص ليكون اعم واشمل بمرور الوقت والزمان، هناك مثلا ما يشير الى الحركات او المدارس الادبية، التي تخصص الباحثون في ماهيتها لمعالجة المشاكل وطرح الحلول المثلى مثل الرومانسية، فهذا النوع من المصطلحات يقع حيز المصطلحات الادبية، وبعضها الاخر يشير الى انماط وهي ليست انواعا بمعنى النوع مقارنة بالكم بل هي انماط سردية تعتمد الاسلوب في المعالجة مثل الملحمة، والاخر يقع في حيز التخصيص اي خصائص الاسلوب، مثل المفارقة، المجاز الذهبي، ومن الجدير بالاهتمام إن نشير الى ان المصطلح نقديا كان ام عاما كان لابد له من ان يكون في حيزّه الصحيح لا ان ينفلت من اطاره العام وان تغيرت اشكال عناصر الدلالة عليه فهو يبقى صامداً امام المتغيرات ولا يمكن له ان يأخذ شكلا اخر وشيئا اخر غير اللذين تخصص بهما هو نفسه والا سيكون مصطلحا في حيزّ غير الذي هو عليه بمعنى ادق هو يذوب في انتقالة زمنية، يتطور تطوراً ظرفيا ولكن ان يفقد صفاته الاصلية وحيزه الذي تأسس عليه فلا يمكن ان يصمد امام هذه الاشكال والمتغيرات الطارئة اي انه ليس انتقاليا حتى، بل هو اضطرادي بالمعنى الاصح.

العراق في حكاية

علي صباح الجلبي

قيل ان ادم ابو البشر ثم حدث طوفان وبقى من الادميين ذرية نوح لذا قيل ان نوح ابو البشر ومن ذرية نوح، ابراهيم ومن ذرية ابراهيم الانبياء لذا قيل ابراهيم ابو الانبياء وكان يسكن في العراق في اور في نفر مع السومريين حيث كان ابراهيم عربي اراميا بعد ذلك سافر ابراهيم مع زوجته الى مكة وبنى هناك مسجد وبعد ذلك تكاثرت ذرية ابراهيم وكان الانبياء منه ولكن بعد مئات السنين جاء المنقب العالمي وقارىء الخط المسماري وولي وعثر على رقيم طيني في اور حيث قال انه بخط ابراهيم ويؤكد على ان ابراهيم يهودي وبقيت تلك النظرية الى ان جاء من يشك بذلك وتابع تنقيبات وولي التي حدثت قبل اكثر من قرن ووجدوا ان وولي مسيحي وزوجته يهودية وبعد ان كتب وولي هذا الرقيم بيده ونسبه الى ابراهيم اعطى لقب سير والكل يعرف ان هذا اللقب حصريا للماسونيين. اخترت هذه المقالة لاتناول ابرز محطات العراق من كلكامش الى حمورابي الى البغداديين الى ابن خلدون.

كلكامش: ومعناه سيد الشجرة الجديدة عاش في شرنوباك ومعناها اعلى النهر في فترة فجر السلالات السومرية ومعنى سومر اراضي سيد القصب وكان كلكامش الملك الخامس من سلالة الوركاء الاولى. جلجامش هي كلمة فارسية نسب الى اسم كلكامش وبذلك روج البعض لهذا الاسم كي ينتسب الى دولة مجاورة وفي الاونة الاخيرة زيد من طرح هذا الاسم ارضاءً للذين جاءوا مع المحتل هي تلك خدمة اعتقد ان وادي الرافدين يحتاج الى لغوي كبير كـ "جاك دريدا" لفهم الطرح المعادي، لماذا نروج لاعدائنا ولا نستطيع ان نوافقهم يسموننا بغير اسمائنا ويغيرون لنا تاريخنا وروجوا لانتصاراتهم على انتصاراتنا نحتاج الى مؤرخ كبير كـ "ابن خلدون" والان لنعود مجددا الى سيد الشجرة الجديدة الذي صنع فكرة مهمة هي الخلود اي العمل الصالح استنادا الى ست قصص قديمة مزجها ومزج فيها تجربته وما سمع اي ماوصله من اجداده عن اوتو نبشتم اوتو اي اله الشمس عند الاكديين وزيوا سيدرا عند السومريين ونوح عند الاسلاميين. تجربة كلكامش كانت الدافع الاكبر لكتابة الملحمة خوفاً لموت صديقه انكيدو تتألف هذه الملحمة من "١٢ رقيم" كل رقيم يحتوي على "٣٠٠ سطر في الاغلب" ان الملحمة ترجع الى مصادر قديمة ثم بدأت تتبلور في عهد الامبراطورية الاكدية واكد تعني ارض، ان الملحمة تدور عن الحياة والموت وقد اثرت هذه الملحمة على الملك اورنمو السومري فرثا كلكامش ولعله اول ملك يرثي ملكا حيث قال: ان الاله كلكامش قاض في العالم الاسفل.

حمورابي: قيل ان اقدم القوانين المكتشفة هي قانون اورنمو ثم قانون لبت عشتار الذي دون بالسومرية ثم قانون اشنونا الذي تم الكشف عنه في موقع تل حرمل القريب من بغداد وقد دون باللغة الاكدية ثم قانون حمورابي ودون هذا القانون بالخط المسماري وباللغة الاكدية على مسلة من حجر الدايوريت الاسود وضم ما يقارب "٢٨٢ مادة قانونية" ويمكن تقسيم ماورد فيها من مواد الى خمسة اقسام رئيسية يعالج الاول الامر الخاصة بالتقاضي والقسم الثاني المواد الخاصة بالاموال والقسم الثالث خاص بالاشخاص والقسم الرابع يحدد مسؤوليات اصحاب المهن اما القسم الخامس يخص بيع الرقيق.

البغدادان: لكل دولة عاصمة الدولة العراقية في العصر العباسي بغداد المدورة وبغداد شبه المستطيلة ولنتكلم الان عن العاصمتين.

بغداد المدورة الغربية الكرخ الزوراء بنيت عام ١٤٥هـ وكانت هذه المدينة عبارة عن حصن مما يدل ان الخلافة العباسية كانت مهددة في البداية عكس ما وصلت اليه زمن المعتصم حيث كانت عبارة عن معسكر بنيت بغداد على شكل دائري ونرى في ذلك فوائد منها ان يكون الخليفة وسط المدينة ومنها الاقتصاد في الموارد البنائية والميزة الثالثة نوردها من رسول ملك الروم حيث قال للمنصور: "انك بنيت بناءا لم يبنه احد كان قبلك" وفي المدينة حلقات متداخلة معزولة تتكون من " خندق ومسناة– سور اول– فصيل اول– سور ثاني– فيصل ثاني– المنطقة السكنية– الممرات ذات الطاقات– فيصل ثالث– الطاقات الصغرى– الرحبة المركزية". وقيل سميت بالزوراء لثلاثة اسباب اولا ابوابها مزورة ثانيا ازورار نهر دجلة عليها ثالثا ازورار في قبلتها ويذكرنا ذلك بمدينة الموصل حيث سميت حدباء لسببين الاول احتداب نهر دجلة عليها ثانيا احتداب منارة الجامع النوري.

بغداد شبه المستطيلة الشرقية الرصافة بنيت بعد بغداد المدورة ولهذه المدينة السور المدعم بابراج صغيرة وابواب تسعة منها اربع رئيسية.

١. باب السلطان سمي بهذا الاسم نسبة الى السلطان السلجوقي طغرلبك الذي دخل بغداد من هذا المكان وسمي بالمعظم نسبة الى ابي حنيفة النعمان حيث يبتدىء فيه الشارع المؤدي الى محلة الامام الاعظم.

٢. باب الظفرية نسبة الظفر احد مماليك دار الخلافة العباسية وسمي بالخراساني نسبة منه انه يؤدي الى طريق خراسان وسمي بالوسطاني لتوسطه جدار هذا السور.

٣. باب الحلبة سمي بذلك لان الارض التي اقيم عليها كانت حلبة للسباق وسمي برج الفتح نسبة الى دخول السلطان العثماني مراد الرابع عند احتلاله بغداد وسمي الطلسم نسبة الى نحت لحيوان التنين الخرافي على مدخل الباب.

٤. باب البصلية سمي بذلك نسبة الى احد محلات بغداد القديمة التي كان يزرع فيها البصل وسمي كلواذا نسبة الى الطريق الذي يؤدي الى محلة كلواذا وسمي الباب المظلم لان التتر دخلوها وسمي بالباب الشرقي لان شرق ابواب السور.

ابن خلدون: ابو زيد ولي الله عبد الرحمن محمد ابن خلدون الحضرمي تتلمذ على يد الابلي، والابلي احد علماء العراق من البصرة الفيحاء لذلك نستطيع القول ان علم العلامة العربي ابن خلدون هو علم عراقي صرف ويعد ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع واول من مزج عدة علوم فأسس بذلك فلسفة علوم التخطيط الحضرية ثم جاء بعده الاقتصادي ايزرد وأسس فلسفة علوم التخطيط الاقليمية، اذن فلسفة علوم التخطيط الحضرية والاقليمية تعد الفروع الحديثة لعلم الجغرافية اذن فالاقليم الوظيفي والمنطقة الجغرافية ذات التمازج للاجزاء –المستقرات– عن طريق وضع خطة اقتصادية اجتماعية لتتضح معالم المستقرة الجغرافية.

بصيص على أرث ابن خلدون:

١. انتقاص عمران الارض من انتقاص البشر فخرجت الامصار والمصانع ودرسنت والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن. كأني بالمشرق قد نزل به مثلما نزل بالمغرب لكن على نسبة ومقدار عمرانه.

٢. هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هدمها وبلوغ الغاية من مداها.

٣. واما لهذا العهد وهو اخر المئة الثامنة قد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهله علي القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بمن كسروهم وغلبوهم وانتزعوا عنهم كافة الاوطان وشاركوهم فيما يلي من البلدان ملكهم.

الناخب الواعي.. قوة تحررية وولاء للوطن

د. غضنفر حكمت الشيخ

صمد الانسان العراقي ومنذ اقدم الازمنة لما اصابه من محن وشدائد، وقد انعكست على تاريخه فجعلت فيه حقبا حية مزدهرة واخرى خامدة ضامرة وكانت المسيرة متعثرة.. الا ان جذور الحياة في اهله نابضة بالعطاء منذ فجر الحضارات.

لقد مرت على العراقيين –كافراد وكشعب– حقب وسنوات قيدت فيها حريتهم وانتهكت كرامتهم وخضعوا لممارسات القمع والاضطهاد والاستبداد والظلم لكنهم احتفظوا بسماتهم الخاصة والمتميزة بتآلفهم الاجتماعي ووحدتهم ضد كل من يريد تمزيق هذا الطيف العظيم العريق باصالته وفي رقعته المتميزة على سطح الكرة الارضية.

يبقى شأنهم شأن طائر "العنقاء" كلما تعرض الى النار والمحرقة خرج من جمرها ورمادها اقوى جناحا، واقدر على العلو والتسامي.

اجل هكذا هم العراقيون عزيزي القارئ الكريم: حيث وضع التاريخ على ارض العراق بصماته وسماته الزاهية ومع تفتح الذهن البشري كان العراق موطنا للبشر وحياة تتطلع الى الحضارة. اننا اليوم نمر بمرحلة انعطاف جديدة بعد تحرر وتخلص من حكم الطغاة واخر انظمة القمع والاستبداد اذ نتطلع لاحداث تغيير جذري في حياتنا ومستقبلنا.. نتطلع الى التحرر الى الديمقراطية.. الى خوض الانتخابات.. الى معرفة اكثر حداثة وعصرية في تشخيص ممثلينا.. انها المخاض ايها السادة.. ونحن بحاجة الى اعادة نظر في انتخاب من يمثلنا بعد ان التبست المعايير وعلى جميع الصعد.

عراق اليوم بحاجة الى ناخب واع يدرك معنى الولاء ويفهم ان لا ولاء لغير "الوطن" وان يضع في اولى اهتماماته وفي اولى اعتباراته "الانسان العراقي" وعلى وجه التحديد بصرف النظر عن: دينه، لونه، عرقه، او مذهبه وباعتباره حسب النظم والفلسفات الحديثة اثمن قيمة واثمن استراتيجية في حياة البشر. وفي ضوء ذلك فان الناخب العراقي الواعي يرفض التعامل والتعاطف مع ممثلي الكيانات السياسية التي تروج الافكار والمناهج الطائفية الفئوية او العنصرية او اي تمييز اخر بين افراد المجتمع.

ان حقوق المواطن حرمة مقدسة يجب ان تكون بايد امينة وهذا ما يسعى الى تحقيقه الناخب الواعي عند انتخاب الممثل الوطني الحقيقي لخدمة البلاد على اساس بناء وثبات وازدهار المجتمع العراقي. واننا كعراقيين يجب ان نعي ان العراق للعراقيين نصا وقانونا ودستورا.. ولا حق في العراق قبل الحق العراقي.

يجب ان نجتاز الميولات العاطفية والقبلية عند خوض الانتخابات، لقد ولى عصر الابتلاء والانصياع الاعمى، وولت كل المحن القاسية، نحن الان امام تجربة الامتحان الجديد لتحقيق النجاح للعراق الجديد في اقامة نظام سياسي دستوري تعددي فيدرالي ليبرالي.. يؤمن بحل المنازعات بالوسائل السلمية وعلى اساس التعايش السلمي والمساواة بين جميع الشرائح الاجتماعية والتي هي رمز العراق قديما وحاضرا ومستقبلا.

لم يبخل المواطن العراقي حينما ذهب الى مراكز الاقتراع، لكنه فوجئ بمكائد الترويج السياسي التي لن تحقق له ابسط طموحاته ولن يرى اي التفاتة جادة او حتى لمجرد تطييب خواطره للتنفيس عن معاناته، حتى ضاقت به الحياة ولعن اليوم الذي لوث اصبعه لاجل من لا يستحق ان يكون رمزه في الانتخابات، ان هذا النمط من الترويج لن ينطلي ثانية على الناخب العراقي.. ان الناخب اليوم اكثر وعيا.. واكثر نباهة وادراكا بعد ان مرت عليه تجربة الالتفاف والتحايل بشتى الوسائل المتدنية من اجل كسب "صوته" الثمين لاعتلاء الكراسي المتزحزحة. صوت الناخب المتحضر هو صوت المواطن الواعي في اختيار القوى الوطنية الساعية الى الحرية والعدالة والكرامة الانسانية والاحترام والامن والاستقرار لجميع الاطياف العراقية.

المفكر والسياسي.. جدلية علاقة إشكالية متى تسبب وصاية الأب الفوضى؟*

الجزء الثاني

ياسر جاسم قاسم/بابل

وصاية الدكتاتور

أي إن ما حدث للعراق هو بسبب وصاية الدكتاتور الأب المسلط علي الناس وهنا نشير إلي أن هذه الوصاية تنطلق أيضا من أحادية الفكر أو الفكر الواحد أي إن الدكتاتور يرى إن الناس كلهم أغبياء ولا يستطيعون معرفة كيف يفكر هو.

وهكذا فالوصاية التي يفرضها الدكتاتور تسبب الفوضي والفوضي تسبب الظلم والظلم يسبب العنف والعنف يسبب مصادرة الحريات وتقييد الفكر وحبسه وإلغاء مشاريع النهضة وهذا هو سر الارتباط بين ممارسات السياسي المسؤول وممارسات المفكر وهنا نوع آخر من الوصاية ألا وهو وصاية رجال الدين فرجل الدين يظن أن بفهمه الأحادي للنظرة الدينية هو يفرض وصاية علي المجتمع وهذه مأساة أخري تضاف إلي ماسي الفكر لان الوصاية الدينية من قبل رجال الدين تسبب تقييد الفكر منذ البداية حيث لا تمر الوصاية الدينية بالمراحل التي تمر بها الوصاية السياسية والسبب في ذلك منهج التكفير الذي يمارسه بعض رجالات الدين.

وهذه الوصاية من رجال الدين ليست كلها بسببهم بل بسبب الوضع الاجتماعي الذي وجدوا فيه من عاطفة جماهيرية كبيرة تحيط بهم وبالتالي فان هذه العاطفة تنبع من العقل الميثولوجي للناس وهو ما يركز عليه رجال الدين وينطلقون منه مستغلين عاطفة وحب الجماهير لهم وهذا يعمم علي كل الديانات فرجالاتها ينطلقون من نفس الرؤية فنرى رجالات الدين المسيحي يعادون كل من يقول بآراء الأديان البقية فنري نظرتهم لبوذا مثلا للفضيلة الأخلاقية حيث نراه حظي بالإجلال والتقدير علي نطاق واسع منهم لكن من ناحية أخري صادفت تعاليمه الرفض باعتبارها الحادية بل ومنحلة تفضي إلي ممارسات فاسدة وخرافية علي الرغم من إشادتهم بدماثته وتراحمه وصور احد المدافعين عن المسيحية تعاليم بوذا ودينه بقوله "سميت عن حق دين اليأس وإنها ملائمة تماما للغنوصية الضعيفة والنزعة التشاؤمية العاطفية التي أصابت جيلنا وكثيرا ما استخدم البعض مثال البوذية لدعم الحس المتنامي بالتفوق الأوربي ولتأكيد إن العقل الشرقي اقل ذكاء وأكثر تخيلا وطفولة وسذاجة من العقل الأوربي وهكذا نرى هذه الجدالات المحتدمة بين المتدينين من كل الأديان تنبع عن رؤى الالتزام القوي بالتعاليم الدينية العقائدية بصورة متعصبة وأصولية ولكن وعلى الرغم من احتدام الجدل حول البوذية والمسيحية من قبل المتعصبين دينيا فان التعاليم البوذية التي شاعت حديثا استهوت كثيرا من الباحثين عن بديل ديني للتراث المسيحي وأضحت ساحة قتال حقيقية بين المسيحية من ناحية وقوي الإلحاد والعلمنة من ناحية أخرى وعبر عن هذا كرا يمر بقوله "تمثل أول تأثير للمواجهة مع البوذية في الإحساس بان المسيحية تواجه منافسا عظيما وفريدا واستثنائيا".

ومضى ارنست ابتل إلى ابعد من ذلك في كتاب له عن البوذية إذ زعم إن "اشد الفلسفات الإلحادية غلوا في القرن التاسع عشر هي النتيجة المباشرة للجهود البوذية في الغرب وهكذا فان إذكاء روح التعصب والتطرف تسبب في الكثير من الأحيان مسخاً للإنسانية وإنهاكا لقيمها المتقدة" لذلك برزت الكثير من الحركات والتنظيمات والتجمعات التي كان الهدف الأساسي من بروزها هو بث روح الحوار والسعي وصولا إلي احترام وفهم متبادلين بدأ واضحا منذ فترة اسبق كثيرا داخل الحركة الترانسندانتالية الأمريكية "برزت الفلسفة الترانسندانتالية خلال القرن التاسع عشر بتأثيرات من أوربا "ألمانيا" وكذا تأثيرات شرقية "بوذية وكنفوشية وهندوسية" وترى هذه الفلسفة إن معرفة الواقع مستمدة من مصادر حدسية دون الخبرة الموضوعية وتعني بما هو قبلي وبديهي في المعرفة أو الهي وتقلل من أهمية حقيقة الخبرة الحسية وترى إن الخبرة الحياتية تشتمل علي عنصر لا عقلي أو خارق للطبيعة وإنها بذلك تعلو على الفكر العام المشترك ومن أشهر روادها في الولايات المتحدة "رالف فالدو واميرسون وهنري دافيد ثورو وجون فيري ومارغريت فوللر"ولم تشهد أمريكا اهتماما عمليا بالأفكار الشرقية خلال القرن الثامن عشر ولكن خلال السنوات الأولى من القرن ١٩ بدا الاهتمام سواء البحثي أو الشعبي في التزايد باضطراد والذي حفزته بوجه خاص كتابات سير وليام جونز حسب ما ذكر جي.جي.كلارك في كتابه التنوير الآتي من الشرق واقترنت هذه الفلسفة بالإيمان بجوهرية خيرية الإنسان وسمو الفكر الحدسي على الفكر العقلاني واستهدفت نظرتها الروحية العميقة تجاوز العقائد والأديان ابتغاء تحقيق خبرة دينية يرجى لها أن تكون كلية شاملة وتعتبر هذه الفلسفة من نواحي كثيرة استمرارا وتطويرا لأفكار الحركة الرومانسية الأوربية واريد ان أصل بالقارئ إلى أن رائد الحركة الترانسندانتالية رالف فالدو اميرسون تركز اهتمامه على الحقائق الدائمة التي تشكل أساسا لجميع الأديان أكثر من الاهتمام ببيان زيف أي منها وهكذا فان روح الحوار وتواصلها بين الأديان وبين الحضارات ستجعل من التطرف والأصولية أفكارا غريبة عن المجتمعات التي يبث فيها الحوار ومن الحوار لقاء الشرق– الغرب حيث نرى إن روبرت روسيل في روايته الرائعة التي لم تكتمل "الإنسان العاطل من الصفات المميزة" تكلم فيها عن الروح الثائرة التي تجلت واضحة مع مطلع القرن العشرين ووصفها بأنها أشبه بالحمى التي تتقد نارا والتي انفجرت في أوربا أنها وباء ثقافي حقيقي بحيث لا احد يعرف على وجه الدقة والتحديد ماذا في الطريق ولم يكن في مقدور احد أن يقول ما إذا كان هذا فنا جديدا أو أنسانا جديدا أو أخلاقا جديدة أو ربما إعادة ترتيب مشوشة للمجتمع ما يهمنا من هذه الرواية هو انه في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شهدا إحساسا متزايدا بالتحرر من أوهام ومعتقدات خاطئة سادت بين الأوربيين الذين تثقفوا علي المثل العليا العقلانية للتنوير والإيمان وهكذا كشف الرغبة في استكشاف بحار أفكار جديدة وغريبة ما يهمنا هو إن الإنسان بإمكانه أن يغير فكره في لحظة زمنية معينة عندما يتبين له فساد فكره في لحظة ما ووفق قراءات معينة وهكذا فان التحول السريع من التكوينات الاجتماعية والاقتصادية الي التكوينات الحديثة ونشوء فلسفات مادية تستلهم العلم والتراخي المطرد لقبضة المعتقدات والطقوس الدينية القديمة وطبيعي أن شجعت هذه العوامل على البحث عن بدائل أكثر إشباعا ودلالة هادفة وهكذا نرى قدرة التنوير وتغيير الفكر على قلب معادلة النهضة الفكرية وبشكل أساسي وهذا مما يتبنى إن صح التعبير من قبل المشروع السياسي كي يمحق ويباد التطرف ويشاع التسامح كبديل أساسي له وبالتالي عدم إلغاء الآخر وهذا ما ذهب إليه مارتن لوثر سنة ١٥٢٠م عندما كان يقول: ينبغي التغلب على الكتابة لا بواسطة النار.

كذلك يقول جون لوك في رسالة التسامح :إني أناشد ضمائر أولئك الذين يضطهدون ويعذبون وينهبون ويذبحون غيرهم من الناس بدعوى الدين أن يخبروني هل يفعلون ذلك بدافع من المحبة والإحسان كل أفكار التسامح هذه تساهم في إبراز دور النهضة في المجتمع سيما إذا أخذها السياسي في نظر الاعتبار.

الاعتمادات:

١–نصر حامد أبو زيد ،الخطاب والتأويل،المركز الثقافي العربي،ط الثانية ٢٠٠٥.
٢– جون لوك، رسالة في التسامح، ت د.عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين، ط الأولي،٢٠٠٦م.
٣– جي.جي.كلارك، التنوير الآتي من الشرق اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي ،ت/ شوقي جلال،سلسلة عالم المعرفة ،٣٤٦ط ٢٠٠٧.
٤– نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي ،ط الخامسة ،٢٠٠٦.

* موقع الف ياء.